١٠ - هَجْرُ التَّرَفُّهِ:

لا تسترسِلْ في (التنعُّم والرفاهية)؛ فإنّ «البذاذةَ من الإيمانِ»[١].
وخُذ بوصيّة أمير المؤمنين عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه في كتابه المشهور، وفيه:

«وإيّاكم والتنعُّمَ وزِيَّ العَجَم، وتمعددوا، واخْشَوْشِنوا...»[٢].

هذا هو الأدب العاشر للطالب في نفسه وهو هجر الترفه فقال فاصحا للطالب لا تسترسل في (التنعم والرفاهية) أي لا ترخي لنفسك العنان وتركها إلى التنعم والاستزادة من وسائل الراحة في اللباس والطعام والشراب والتنقل فطالب العلم ينبغي أن تكون على غير ذلك السلوك لما يلي

١- إن كان على هذا السلوك فإنه مخالف للهدي النبوي فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال «البذاذة من الإيمان» "البذاذة" ترك الترفه

٢- التنعم والرفاهية يشغلانه عن كثير مما يصبو إليه من الفضائل والكمالات أصحاب الرفاهية ما يصبرون على طلب العلم وسهر الليالي وثني الركب عند العلماء والمشايخ وما يصبرون على شراء الكتب وترك الطعام والشراب والملذات

٣- الذي يعوّد نفسه على الخشونة تجد أن الأمر عنده سيّان عسرا كان أو يسرا، فلا يستطيع أحد أن يؤثر فيه ويغريه بعرض من الدنيا قليل - مثلا عفان بن مسلم الصفار، لما جاءه صاحب الشرطة يمتحنه هل القرآن مخلوق أم لا؟ فلما لم يجبه وكان عطاءه في الشهر ألف درهم فقال ليس لك بعد ذلك عطاء فصبر وكان ينفق على ٤٠ أربعين نفسا فإذا برجل زيارات فجاءه بألف درهم في جوف الليل وقال لك مثلها كل شهر.

٤- التنعم والرفاهية تصعب الإنسان من بعض الكمالات والعبادات فإنّ المترفه بالصيام وخصوصا مع شدة الحرّ وأنّى للمترف

بالحج والعمرة وكيف هو مع الإعتكاف عوّد نفسك يا طالب العلم على
تحمل المشاق فإذا تغيّرت الأحوال كانت على أهبت الاستعداد وربما
الرفاهية سبّب قاتل فاحذره لا يصدنّك عن الدرجات العلى.

وعند أبي داود وصححه الألباني عن عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي أن رجلاً
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحل إلى فضالة بن عبيد وهو بمصر،
فقدم عليه، فقال أما إني لم آتك زائراً، ولكني سمعت أنا وأنت
حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم رجوت، أن يكون عندك منه علم، قال،
وما هو؟ قال كذا وكذا قال: فما لي أراك شعثاً وأنت أمير الأرض؟
قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهانا عن كثير من الإرفاه قال: فما لي
لا أرى عليك حذاء؟ قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نحتفي
أحياناً.

- وأما وصيه الفاروق يحذر من التنعم جيوش المسلمين هذه التي كسرت
فارس والروم لو أخلدت إلى الراحه والترفه ما فتحت أرجاء الأرض أبداً
فإن الله زوى الدنيا عن قلوبهم وإن كانت أيديهم قد نالتها
- ويحذرهم كذلك من التشبه بزي العجم سواء كان في شكل الشعر
أو اللحية أو في اللباس وكل من سوى العرب فهو عجم
- قوله «تمعددوا» أعلى أجداد النبي صلى الله عليه وسلم هو معد بن عدنان وهو لا شك
أنه من صميم العرب أي عليكم بزي العرب، معد بن عدنان.

- «اخشوشنوا» أي اطلبوا الخشن ودعوا الليونة والتنعم فإن هذه
النعومة لا تدوم والأيام دول والأحوال تتغير كثير من الشباب اليوم
لأنه لا يخشوشن قد يسبقه في المشي الشيخ العجوز أو في صعود جبل
أو مرتفع أو في صلاة ليل أو في صيام نهار لماذا؟ لأنه لم يعوّد نفسه
على الخشونة أحياناً

وعليه؛ فَازْوَرَّ عن زَيْفِ الحضـارة؛ فإنّـه يُؤنِّثُ الـطِّباعَ، ويُرْخي الأعصابَ، ويُقَيِّدُك بخيط الأوهام، ويَصِلُ المُجِدُّونَ لغاياتهم وأنتَ لم تَبْرَح مكانك، مشغولٌ بالتأنُّق في ملبسك، وإن كان منها شِيَاتٌ ليست محرَّمةً ولا مكروهةً، لكن ليست سَمْتاً صالحاً، والحِلْيَةُ في الظاهر كاللِّباسِ عنوانٌ على انتماء الشخص، بل تحديدٌ له، وهل اللِّباسُ إلا وسيلةٌ من وسائل التعبيرِ عن الذاتِ؟!

يتكلم رحمه الله عن اللباس وما يتعلق به، وينصحنا رحمه الله أن نكون على بعد عن زيف الحضارة وما يوردونه إلينا من زبالة أفكارهم، فإنه يؤدي إلى أن يفقد كثير من الرجال صفات رجولتهم فتجد طباعهم قد أنثت، فاحذروا أن يسترق الجمال، فمن وقع في ذلك الفخ تجده قد أخلد إلى الأرض وسبقه المجدون وهو ما زال ينظر في عطفيه ويعدل كل صباح ومساء هندامه وإن كان يعد ذلك في عداد المباحات ولكن ليس هذا هو سمت العلماء ولا طلبة العلم. واللباس إنما يعبر عن الشخص وذاته وأنت إذا نظرت إلى رجل عرفته بلباسه فهذا تعبير عن الشخصية.

فكن حَذِراً في لباسِك؛ لأنه يُعَبِّرُ لغيرك عن تقويمك؛ في الانتماء، والتكـوين، والـذوق، ولهذا قيل: الحليةُ في الظاهر تدلُّ على ميلٍ في الباطن، والناسُ يُصَنِّفُونك من لباسِك، بل إنّ كيفيّةَ اللُّبْسِ تُعْطي للناظرِ تصنيفَ اللابسِ من:

الرَّصانة والتعقُّل.

أو التمشْيُخ والرهبنةِ.

أو التَّصابي وحُبِّ الظهور.

فَخُذْ من اللباسِ ما يُزينك ولا يُشينك، ولا يَجْعَلْ فيك مقالاً لقائلٍ، ولا لَمْـزاً للامزِ، وإذا تلاقى مَلْبَسُك وكيفيةَ لُبسِك بما يلتقي مع شَرَف ما تحملُه من العلم الشرعيِّ؛ كان أدعى لتعظيمِك والانتفاعِ بعلمِك، بل بِحُسْنِ نيّتك يكون قُربةً؛ إنه وسيلةٌ إلى هداية الخلق للحقّ.

وفي المأثور عن أمير المؤمنين عُمَرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه(١):

«أحبُّ إليَّ أنْ أنظُرَ القارىءَ أبيضَ الثياب».

أي: لِيَعْظُمَ في نفوس الناس، فيُعَظَّمَ في نفوسِهم ما لديه من الحقّ.

والناسُ - كما قال شيخُ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله تعالى - كأسرابِ القَطَا، مجبولون على تشبُّه بعضِهم ببعضٍ(٢).

يرشدنا العلامة / بكر أبو زيد عليه رحمه الله أن تكون حذرًا في ثيابك فإنه يعبّر عنك فأنت ترى أن كل أهل صنعة لهم لباس يميزهم عن غيرهم فهذا طبيب وهذا مهندس وهذا معلم فكذلك كن يا طالب العلم مميزًا في لباسك متشبهًا بأهل العلم فالناس يصنفونك بلباسك بل بكيفية اللُبس تعطي إنطباعًا عن شخصيتك وخذ من اللباس ما يزينك ويجعلك مقدرًا في أعين الناس
وإياك وما يشينك ويضع مكانتك عندهم ويجعل مضغة في ألسنتهم وإذا كان حسن لباسك وهيئتك اجتمع مع شرف ما تحمل من العلم كان هذا أنفع في قبول النصيحة منك وتلقي الخير عنك فإن صلحت نيتك في ذلك صار لباسك وزينتك قربة وهداية للخلق.
وجاء عن عمر رضي الله عنه «أحبُّ إليّ أن أنظُرَ القارئ أبيضَ الثياب».
فعند ما يكون الحال كما أرشد رضي الله عنه فإنه يَعْظُمُ في أعين الناس وبالتالي يعظم في نفوسهم ما لديه من الحق، وأيضًا إذا كان الحال كما ذكر فإنه يُرجى من جهة أخرى أن الناس يقتدون به كما ذكره شيخ الإسلام.
أن الناس مجبولون على تشبه بعضهم ببعض

فإيَّاك ثم إيَّاك من لباس التَّصابي، أمَّا اللباسُ الإفرنجيُّ؛ فغيرُ خافٍ عليك حُكْمُهُ، وليس معنى هذا أن تأتي بلباسٍ مُشَوَّهٍ، لكنه الاقتصادُ في اللِّباسِ برسم الشرعِ، تَحُفُّه بالسَّمْتِ الصالح والهَدْيِ الحَسَن.

وتَطَلَّبْ دلائلِ ذلك في كتب السُّنة والرِّقاق، لا سيَّما في «الجامع» للخطيب[1].

ولا تستنكِرْ هذه الإشارة؛ فمازال أهلُ العلم يُنَبِّهون على هذا في كُتُب الرِّقاقِ والآدابِ واللِّباسِ[2]، والله أعلم.

وحذر الشيخ من محظورٍ خطيرٍ لما بين أن الناس يقلّد بعضهم بعضًا فإياك أن تكون مثالًا سيئًا يقتدي الناس بك في السوء والشرّ بأن تخالف لباس أهل العلم فتلبس ملابس التصابي يعني ما يلبسه الصبيان وأنت يلزمك حشمة أهل العلم وكذلك لا تلبس ملابس الإفرنج فهذا لا ينبغي لك يا طالب العلم أن تفعله.

ولا يُفهم من كلامه رحمه الله أن تلبس ملابس تُزري على نفسك بها فيستهزئ الناس بك ولكن المقصود أن تكون وسطًا لا إفراط ولا تفريط والضابط في ذلك قوله تعالى: ﴿ إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا ﴾.

وكذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «البس ما شئت من غير إسراف ولا مخيلة».

فلا يكون لباس منقصة ولا لباس شهرة.

وما ذكره المؤلف عليه رحمه الله أشار إليها العلماء في كتبهم فلا تستنكر الإشارة إليها في مؤلفنا هذا.

١١ - الإعراضُ عن مَجالس اللَّغْو:

لا تَطَأْ بساطَ من يَغْشون في ناديهم المُنْكَرَ، ويَهْتِكون أستارَ الأدب؛

مُتغابياً عن ذلك، فإنْ فعلتَ ذلك؛ فإنَّ جنايتَك على العلمِ وأهلِه عظيمةٌ.

١٢ - الإعراضُ عن الهَيْشاتِ:

التَّصَوُّنُ من اللَّغَط والهَيْشاتِ؛ فإنَّ الغَلَط تحت اللَّغط، وهذا يُنافي أدبَ الطلب.

ومن لطيفِ ما يُستحضر هنا ما ذكره صاحبُ «الوسيط في أدباء شنقيط» وعنه في «مُعجم المعاجم»:

«أنه وقع نزاعٌ بين قبيلتين، فسعت بينهما قبيلة أخرى في الصلح، فتراضَوْا بحُكم الشرع، وحكّموا عالماً، فاستظهر قتلَ أربعةٍ من قبيلةٍ بأربعةٍ قُتلوا من القبيلةِ الأخرى، فقال الشيخُ بابُ بن أحمد: مثلُ هذا لا قصاصَ فيه. فقال القاضي: إنَّ هذا لا يُوجَد في كتابٍ. فقال: بل لم يَخْلُ منه كتابٌ. فقال القاضي: هٰذا «القاموسُ» - يعني أنه يدخُلُ في عموم كتابٍ -.

فتناولَ صاحبُ الترجمة «القاموسَ»، وأولُ ما وقع نظره عليه: «والهَيْشَةُ: الفتنةُ، وأمُّ حُبَيْن[1]، وليس في الهَيْشَاتِ قِوَدٌ»؛ أي: في القتيلِ في الفتنةِ لا يُدرى قاتلُه، فتعجَّب الناسُ من مثل هذا الاستحضارِ في ذلك الموقفِ الحَرِجِ» اهـ مُلَخَّصاً.

١١ - الأدب الحادي عشر هو الإعراض عن مجالس اللغو ومجالس اللغو إما هي التي
لا فائدة منها وإما التي هي فيها ما حرّم الله تعالى من غيبة ونميمة وهتك
أعراض المؤمنين والمؤمنات وهذا واقع للأسف في أكثر مجالس الناس إلا
من رحم الله تعالى فإن المجالس قد تمتد من قبل العشاء إلى قبيل الفجر
فهذه ولا بد أن يكون للشيطان فيها نصيب فإن الكلام المباح ينجر إلى

إلى الحرام فينبغي لطالب العلم أن يحفظ وقته عن الضياع ودينه عن الحرام فإن اضطر إلى الحضور فليقم بحق الله في المجلس ثم ينصرف أما أنه يجلس معهم ويجاريهم في لغوهم فهذا جناية عظيمة على العلم وأهله

١٢- الأدب الثاني عشر وهو الإعراض عن الهيشات
وهي الأماكن التي فيها خصومة ومجادلة ورفع أصوات وهذه الأماكن تشتمل على لغط وسب وشتم وهذه المجالس فيها انتصار للنفس فهذا اللغط يؤدي إلى الغلط وهذا يتنافى مع أدب الطالب من الوقار والسكينة

ثم ذكر رحمه الله هذه القصة عما وقع بين قبيلتين من تشقيط وما جاء فيها من ذكر الهيشات

١٣ - التَّحلِّي بالرِّفْقِ:

الْتزمِ الرفقَ في القول، مُجتنباً الكلمةَ الجافيةَ؛ فإنَّ الخطابَ اللَّيِّنَ يتألَّفُ النفوسَ الناشزةَ.

وأدلَّةُ الكتابِ والسنةِ في هذا متكاثرةٌ.

وهذا من أهم ما يتحلى به طالب العلم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» خ.م
وعند مسلم «وما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه»
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»
وهذا هو أقرب طريق بأخذ بقلوب الناس إليك

١٤ - التأمُّل:

التحلِّي بالتأمل؛ فإنَّ من تأمل أدرك، وقيل: «تأملْ تُدْرِكْ».

وعليه؛ فتأمَّل عند التكلُّم: بماذا تتكلَّم؟ وما هي عائدتُه؟ وتَحَرَّزْ في العبارةِ والأداءِ دون تعنُّتٍ أو تحذلقٍ، وتأمَّل عند المذاكرة كيف تختارُ القالبَ المناسبَ للمعنى المُرادِ، وتأمَّل عند سؤال السائل كيف تتفهَّم السؤالَ على وجهه حتى لا يَحْتمل وجهين؟ وهكذا.

يرشدك إلى التدبر والتفهم ولا تكن متعجلاً لا يكن لسانك قبل قلبك وانظر إلى الكلمة التي تقولها فإن كانت خيرًا فقولها وإلا فأعرض ماذا تقول للناس لكل مقام مقال تختار ما يناسب المكان والزمان والأشخاص وما ينفع مع هؤلاء قد لا ينفع مع هؤلاء وتأمل فيما يلقى إليك من أسئلة أو ما تلقي للناس من جواب

١٥ - الثباتُ والتثبُّت:

تَحَلَّ بالثباتِ والتثبُّتِ، لا سيَّما في المُلِمَّاتِ والمُهِمَّات، ومنه: الصبرُ والثباتُ في التلقِّي، وطيُّ الساعاتِ في الطَّلَبِ على الأشياخ؛ فإنَّ «مَنْ ثَبَتَ نَبَتَ».

الثبات هو المصابرة على الأمر وعدم النزوع عنه حتى تصل إلى مرادك منه لا بد من الصبر وعدم الضجر وكثرة التنقل بين الكتب والمواد والشيوخ فمثل هذا لا تثبت له قدم في العلم ولا يبلغ فيه أبدًا.
التثبت أي تتحقق فيما يأتيك من أخبار أو أحكام ولا تتناقل الأمور

هكذا بدون تثبت من مصدرها كما نرى الآن الرسالة تصل إلى ملايين الناس ولا تعرف لها مصدراً، طالب العلم لابد أن يكون على بصيرة من أخباره وأحكامه ولا يكون حاطب ليل لا يدري ما يجمع.

- ومن أمثلة الصبر على الطلب، والجلد، وتحمل المشاق ما كان من مسند الأندلس بقية بن مخلد ومشيه على قدميه من الأندلس لبغداد وغيرها من حواضر المسلمين لطلب الحديث